الآيات من 165-167

حال المشركين مع آلهتهم

والّذين آمنوا أشدّ حبًّا لله

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾.

المعنى العام

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ أشباهًا وأمثالًا من الأصنام والرؤساء ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ينقادون إليهم، فيسوّون في المحبّة بين الله تعالى العليّ الكبير، وبين المصنوع الذّليل الحقير، ويحبّونهم كحبّه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضدّ له، ولا ندّ له، ولا شريك معه.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قلت يا رسول الله أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: ((أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ))"[1].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ والذين آمنوا بالله ووحّدوه ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ لأنّ المؤمنين لا يلتفتون عن محبوبهم في الشدّة ولا في الرّخاء، بخلاف الكفّار فإنّهم يعبدونهم في وقت الرّخاء، فإذا نزل البلاء التجأوا إلى الله. قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾[2] فالمؤمنون يعبدون الله بلا واسطة، والكفّار يعبدونه بواسطة أصنامهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[3] والمؤمنون يعبدون ربًّا واحدًا فاتّحدت محبّتهم.

قال سعيد بن جبير: "إنّ الله تعالى يأمر يوم القيامة من عبد الأصنام أن يدخلوا النّار مع أصنامهم، فيمتنعون لعلمهم بالخلود فيها، ثمّ يقول للمؤمنين بين يدي الكفّار: إن كنتم أحبّائي فادخلوا، فيقتحم المؤمنون النّار، وينادي منادٍ من تحت العرش: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾"[4]. ولحبّهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له سبحانه، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكّلون عليه ويلجؤون في جميع أمورهم إليه.

ثمّ توعّد تعالى المشركين به الظّالمين لأنفسهم بذلك فقال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ تقدير الكلام لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذٍ أنّ الحكم له وحده لا شريك له، وأنّ جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ لقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾[5]، فلو يعلمون ما يعاينونه هنالك، وما يحلّ بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم، لانتهوا عمّا هم فيه من الضّلال. ثمّ أخبر تعالى عن كفرهم بأوثانهم وتبرّي المتبوعين من التّابعين، فقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٦٨١١، كتاب: الحدود، باب: إثم الزناة.
(٢) سورة النحل، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٥. ذكره الثعلبيّ في تفسيره، عن سعيد بن جبير، باب: ١٦٥، ج٤، ص٢٧١
(٥) سورة الفجر، الآيتان: ٢٥ - ٢٦.

﴿اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾، قال علي بن أبي طالب ﷺ: "النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ"[1]. فمن علامة الحبّ اتّباع المحبوب ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2] لذا كانت الدّعوة إلى ترك السّنة وترك العمل بأحاديث النّبيّ ﷺ دعوة إلى الكفر بالله ورسوله.

فقوله ﷻ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ﴾ أي تبرّأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنّهم يعبدونهم في الدّار الدّنيا، فتقول الملائكة ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾[3]، ويقولون: ﴿سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[4]، كما تتبرّأ الجنّ منهم ويتنصّلون من عبادتهم لهم، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[5]، وقال إبراهيم الخليل عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[7] وقوله ﷻ: ﴿وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ أي عاينوا عذاب الله، وتقطّعت بهم الحيل وأسباب الخلاص والمودّة، ولم يجدوا عن النّار معدلًا ولا مصرفًا.

ويُظهر تعالى ندم هؤلاء في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا﴾ أي لو أنّ لنا عودة إلى دار الدّنيا حتّى نتبرّأ من هؤلاء ومن عبادتهم فلا نلتفت إليهم، بل نوحّد الله وحده بالعبادة، وهم كاذبون في هذا، كما أخبر تعالى ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[8] ولهذا قال ﷻ: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي تذهب وتضمحلّ، عند ذلك يعرفون مرارة طعم صحبة المخلوقين ولكن لا يحصلون إلا على الحسرات، كما أشار تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[9]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، عن عليّ، كتاب: المهاجرون من الصحابة، باب: وصيّته لكميل بن زياد.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٣) سورة القصص، الآية: ٦٣.
(٤) سورة سبأ، الآية: ٤١.
(٥) سورة مريم، الآيتان: ٨١ – ٨٢.
(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٢٥.
(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.
(٩) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. وجوب حبّ الله تعالى وحبّ كلّ ما يُحبّه الله ﷻ **(من أشخاص وأماكن وأزمنة وأعمال وأحوال)** بحبّه تعالى.

٢. حبّ الله تعالى فرض على كلّ مسلم، ويجب أن يكون أعظم من حبّ الوالد والولد والنّاس أجمعين، ومن حبّ المال والدّنيا وحبّك لنفسك. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

٣. حبّ النّبيّ ﷺ فرض على كلّ مسلم، وحبّه ﷺ يجب أن يكون أعظم من حبّ الوالد والولد والنّاس أجمعين، ومن حبّ المال والدّنيا، ومن حبّك لنفسك. قال رسول الله ﷺ: «أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»[1] فالنّفس مجبولة على حبّ من أحسن إليها.

٤. هؤلاء قوم لم يجعلهم الحقّ سبحانه أهل المحبّة، فَشَغَلهم بمحبّة الأغيار حتّى رضوا لأنفسهم أن يحبّوا كلّ ما هَوَتْهُ أنفسهم، فرضوا بمعمولٍ لهم أن يعبدوه، ومنحوت من دونه أن يحبّوه. ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2].

٥. يوم القيامة تنحلّ جميع الرّوابط من صداقة ونسب، ولا تبقى إلّا رابطة الإيمان والأخوّة في الله.

٦. تبرّؤ رؤساء الشّرك والضّلال ودعاة الشّر والفساد ممّن أطاعوهم في الدّنيا واتّبعوهم على الظّلم والشّر والفساد وليس بنافعهم ذلك شيئًا. ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[3].

في الأمر والنّهي

- لا تتجاوز الحدّ في محبّة المخلوقين مهما كانت منزلتهم، لأنّ محبّتهم إن زادت عن حدّها قد تصل إلى شرك المحبّة؛ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾.
- أكثر من ذكر المحبوب، لأنّه دليل على شدّة حبّك له؛ فذكر العبد لربّه كثيرًا يدلّ على أنّ حبّه لربّه كبير، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.
- اِرضَ بقضاء الله، لأنّ العبوديّة هي الرّضا بقضاء الله خيره وشرّه.

(١) رواه الحاكم في المستدرك، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٤٧١٦، كتاب: معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب: من مناقب أهل رسول الله ﷺ، الحديث إسناده صحيح.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٦.

من الأخلاق المحمّديّة: حبّ الله تعالى وحبّ رسوله ﷺ:

هذا الخُلُقُ مُستَمَدٌّ مِن اسمِ الله تعالى "**الوَدود**".

والوِدادُ هو الحُبُّ غيرُ المَشروطِ وغيرُ المَربوطِ بِأمرٍ يَزولُ بِزوالِهِ، كَحُبِّ الأمِّ لِوَلَدِها؛ وَأَعظَمُ مِنه حُبُّ النّبيّ ﷺ لأحبابِهِ خاصّةً ولأُمَّتِهِ عامَّةً؛ وأعظَمُ منهُ حُبُّ الله تعالى لِعِبادِهِ الصّالحينَ خاصّةً وَلِعِبادِهِ المؤمنينَ عامّة. وَالتَّخَلُّقُ به هو بأن تَتَخَلَّقَ بِالأخلاقِ المحمّديّةِ فهي الّتي تَزيدُك حُبًّا للهِ، فَتُحِبَّ جَميعَ النّاسِ وَتَسعى في إسعادِهِم في الدُّنيا والآخرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾[1].

- الرّوحُ بلا حبٍّ شبحٌ باهتٌ مدفونٌ في جسدٍ، فالرّوح تحيا بالحبّ. فَاسْلُكْ طَريقَ الحبّ فهو أقصرُ طريقٍ للوُصولِ إلى السّعادةِ الأبديّةِ. واعرفْ أيَّ حُبٍّ تختار... وقد جاء في الحديث القدسي عن رسول الله ﷺ عن ربّ العزّة وعلاه: ﴿المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ﴾[2].
- دَعْكَ مِنَ الحبّ الفاني السّطحيّ، واطمَحْ إلى أعلى وأشرفِ درجاتِ الحبّ الّذي يحوي مَحبَّةَ الخلقِ أجمعين.
- اِختَرْ حُبَّ الله تعالى وَحُبَّ رسولِهِ ﷺ فتفوزَ بمنزلةِ السّابقينَ المُخلِصينَ. قال رسول الله ﷺ: ﴿مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا﴾[3] فالله يحبّ فيك الكرم والأخلاق الحسنة وجبر الخواطر...
- الحُبُّ هو أن تميلَ بِكُلِّكَ إلى المحبوبِ، ثمّ تفضّلُه على نفسِك وَروحِكَ ومالِكَ، وتُوافِقُهُ سرًّا وَجَهرًا، وتعترِفُ بِتقصيرِكَ في حبّه.
- بِالحُبِّ تنالُ رضى الربّ؛ فالمُحِبُّ يرضى مِن مَحبوبِهِ كُلَّ شَيءٍ ولا يَرى في فِعلِهِ عيبًا. فَتُحِبُّ كُلَّ نِعْمَةٍ أعطاكَ الله إيّاها لأنّها هَدِيَّةٌ مِمَّن تُحِبُّ. فَاحرِصْ على الحُبِّ وعلى أن تُعَلِّمَ غيرَكَ أَهَمَّ وَصفٍ وُصِفَ به نبيُّكَ الّذي عُرِفَ بِأَنَّهُ حبيبُ الله ﷺ.
- مَنْ فازَ بحبِّ الله فازَ بكلِّ شيءٍ!؟ فازَ بِمَحبّةِ الملائكةِ والنّاسِ، فازَ بِالسّعادةِ والأمانِ والهِدايةِ، فازَ بالأنسِ والتّسليمِ، فازَ بالرِّزقِ والعافيةِ، وبالذُّرّيةِ الصّالحةِ والتّوفيق. وحتّى عِندَ زوالِ النّعمةِ ونزولِ البلاءِ يرزقُك الله الرّضا بقضائِهِ لأنّكَ تعلَمُ أنّه مهما بدا الأمرُ صَعْبًا، فإنَّ ما اختارَه الله لكَ هو عينُ الخيرِ لكَ وعلامةُ حبِّهِ لكَ وعنايتِهِ بكَ! فمن سبقت له العناية، ونال في الأزل مقام المحبوبيّة، صارت مساوئه محاسن، ومن سبق له العكس صارت محاسنه مساوئ. قال بعض العارفين: **"اللهمّ اجعل سيّئاتنا سيّئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت"**. وقال آخر:

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٦٣٧، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: إذا أحبّ االله عبدًا حبّبه لعباده.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن مسعود، حديث رقم: ٦١٦٩، كتاب: الأدب، باب: علامة حبّ الله تعالى.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٥٠٢، كتاب: الرقاق، باب: التواضع.

"فإذا أحبّ الله عَبْدًا لَمْ يضرّه ذنب"[١] يعني يُلهمه التّوبة سريعًا، كما قيل لأهل بدر: **"اِعملوا مَا شِئتُم فقد غَفَرتُ لَكُم"**[٢].

- كي تكسبَ حُبَّ الله تعالى عليك بالتّضحيةِ، فَعَلامَةُ الحُبِّ أن تَتْرُكَ ما تُحبُّ لأجلِ ما يُحبُّه محبوبُك؟... كما قالَ تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ...﴾[٣]. أي اتّبعوا الأخلاقَ المُحمّديّة، أخلاقَ نبيّك ﷺ. فإنْ طبّقتَها، أي اتّبعتَه، عبر بِرِّكَ لِوالدَيْكَ وعَفوِكَ عَمَّن ظَلَمَكَ، وصبرِك على المصاعبِ وحسنِ ظنّكَ بالله وعبادِه، كانت هذه علامةَ صدقِكَ. فالتّأسّي بالأخلاقِ المُحمّديّة أقصرُ الطّرقِ لنيلِ حبّ الله تعالى ورسوله ﷺ.

كيف نزرعُ حبَّ الله ورسولِه ﷺ؟

أوّلًا: بالتّعرّفِ إلى الله تعالى، ودوامِ التّفكّرِ بِنِعَمه، وَنَسبِ كلّ خيرٍ إليه سبحانَه وأنّه حَصَلَ بتَوفيقِه وتَقديرِه، ودوامِ حُسنِ الظّنِّ بالله في كُلّ أمرٍ مِن أمورِ الدُّنيا والآخرةِ.

ثانيًا: بالإكثارِ مِن ذكرِ الله تعالى حتّى يَذكُرَك: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[٤].

ثالثًا: بالإكثارِ مِنَ الصّلاة والسّلامِ على النّبيّ ﷺ، والسّعي إلى التّعرُّفِ عَلَيْهِ عبرَ أخلاقِهِ السّاميةِ وَسيرتِهِ الغَنيّةِ بالمَواقِفِ الرّائعة، فيُصبحَ ﷺ لنا قدوةً في حياتِنا.

رابعًا: لنزرعَ حبّ الله تعالى ورسوله ﷺ بتَحبيبِ الخلقِ بهما عبرَ الكلامِ عنِ الله تعالى ورسوله ﷺ. ويكفي أن نُذكّرَ النّاس فنقولَ: "الله سَيَنْصُرُكَ، الله سَيَرْحَمُكَ، الله سَيُعينُكَ، الله سَيَشفيكَ". أَخْبِرْهُم عَن أخلاقِ رسولِ الله ﷺ **(فعلَ كذا وأمَرَ بكذا)** فتتعلّقَ قلوبُ النّاس به. وحافِظ على الدُّعاءِ إلى الله تعالى في كلّ أمرٍ مِن أمورِك: **﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ﴾**[٥].

من الأخلاق المحمّديّة: لا تُقَلِّدْ غَيرَكَ تقليدًا أعمى

هذا الخُلُقُ مُستَمَدٌّ مِن اسمَاء الله تعالى **"البصير النّور البديع"**.

والتّخلُّقُ باسم الله تعالى **"البصير"** هو بأن تكونَ على بصيرَةٍ مِن أَمْرِكَ لا تُقَلِّدُ غَيرَكَ تقليدًا أعمى. بل كُلُّ قرارٍ تَأخُذُه تَبنيه على بَصيرَةٍ وَدِراسَةٍ وَدِرايَةٍ وَلَيسَ تقليدًا لِغَيْرِكَ. والتَّخَلُّقُ باسم الله تعالى **"النّور"** هو بأن تستنيرَ بنورِ العِلْمِ وَبنورِ العَقلِ وَبنورِ القُرآنِ في جميعِ مُعتَقَداتِكَ وقراراتِكَ. والتَّخَلُّقُ باسم الله تعالى **"البديع"** هو أن تبحث عن الكنوز الّتي اختصّك الله تعالى بها ولا تقلّد غيرك ولا تكن إمّعة بحيث تقلّد الآخرين لأنّ أغلب النّاس هكذا يفعلون. قال رسول الله ﷺ: **«لا تَكونوا إِمَّعَةً، تَقولونَ: إِنْ أَحْسَنَ النّاسُ أَحْسَنّا، وَإِنْ ظَلَموا ظَلَمْنا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النّاسُ أَنْ تُحْسِنوا، وَإِنْ أَساؤُوا فَلا تَظْلِموا»**[٦].

الحكمة: قوم أقامهم الله لخدمته، قوم اختصّهم بمحبّته، كلًّا نُمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربّك، وما كان عطاء ربّك محظورًا

(١) رواه أبو نعيم في الحلية، عن الشعبي، كتاب: فمن الطبقة الأولى من التابعين، باب: عامر بن شراحيل الشعبي.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عليّ، حديث رقم: ٤٢٧٤، كتاب: المغازيّ، باب: غزوة الفتح.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١. (٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٢ (٥) سورة يوسف، الآية: ٨٦.
(٦) رواه التّرمذيّ في سننه، عن حذيفة، حديث رقم: ٢٠٠٧، كتاب: أبواب البرّ والصّلة، باب: ما جاء في الإحسان والعفو، الحديث حسن غريب.

في السّيرة والشّمائل

إنّ أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زيّنه الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من أحاديث النّاس، إنّه أحسن الحديث وأبلغه.

عن عائشة زوج النّبيّ ﷺ قالت: لمّا اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فكانوا ثمانية وثلاثين رجلًا، ألحّ أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ في الظّهور، فقال: **"يا أبا بكر، إنّا قليل"**، فلم يزل أبو بكر يلحّ على رسول الله ﷺ حتّى ظهر رسول الله ﷺ وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد، كلّ رجل في عشيرته، وقام أبو بكر في النّاس خطيبًا، وكان رسول الله ﷺ جالسًا، فكان أوّل خطيب دعا إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد ضربًا شديدًا، ووُطِئ أبو بكر وضُرب ضربًا شديدًا، فدنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفين ويحرفهما لوجهه وثنى على بطن أبي بكر حتّى ما يعرف وجهه من أنفه، وجاءت بنو تيم يتعادون وأجلت المشركين عن أبي بكر، وحملت بنو تيم أبا بكر في ثوب حتّى أدخلوه منزله، ولا يشكّون في موته، ثمّ رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنّ عتبة بن ربيعة، فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلّمون أبا بكر حتّى أجاب، فتكلّم آخر النّهار فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فمسّوا منه بألسنتهم وعذلوه، ثمّ قاموا وقالوا لأمّه أمّ الخير بنت صخر: أُنظري أن تطعميه شيئًا، أو تسقيه إيّاه، فلمّا خلت به ألحّت عليه، وجعل يقول: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقالت: والله ما لي علم بصاحبك، فقال: اذهبي إلى أمّ جميل بنت الخطّاب فسليها عنه، فخرجت حتّى جاءت أمّ جميل فقالت: إنّ أبا بكر يسألك عن محمّد بن عبد الله، فقالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمّد بن عبد الله، فإن تحبّين أن أمضي معك إلى ابنك؟ قالت: نعم فمضت معها حتّى وجدت أبا بكر صريعًا دنفًا، فدنت أمّ جميل وأعلنت بالصّياح وقالت: والله إنّ قومًا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر، وإنّي لأرجو أن ينتقم الله لك منهم، قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالت: هذه أمّك تسمع، قال: فلا شيء عليك فيها، قالت: سالم صالح، قال: فأين هو؟ قالت: في دار أبي الأرقم، قال: فإنّ لله عليّ أن لا أذوق طعامًا أو شرابًا أو آتي رسول الله ﷺ، فأمهلتا حتّى إذا هدأت الرّجل وسكن النّاس، خرجتا به يتّكي عليهما حتّى أدخلتاه على رسول الله ﷺ، قال: وأكبّ عليه رسول الله فقبّله، وأكبّ عليه المسلمون، ورقّ له رسول الله ﷺ رقّة شديدة، فقال أبو بكر: بأبي وأمي يا رسول الله، ليس من بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمّي برّة بولدها، وأنت مبارك، فادعها إلى الله تعالى، وادع الله لها؛ عسى الله أن يستنقذها بك من النّار، قال: فدعا لها رسول الله ﷺ، ثمّ دعاها إلى الله تعالى، وأسلمت..."[1].

في السّلوك

الإشارة: المحبّةُ مَيلٌ دائم بقلب هائم، أو مراقبة الحبيب في المشهد والمغيب، أو مواطأةُ القلب لمراد الربّ، أو خوف ترك الخدْمة مع إقامة الحُرْمة.

والمحبّ على الحقيقة مَن لا سلطان على قلبه لغير محبوبه، ولا مشيئة له غير مشيئته، قال الشّيخ أبو الحسن رضي الله عنه: المحبّة أخذة من الله لقلب عبده المؤمن عن كلّ شيء سواه، فترى النّفس مائلة لطاعته، والعقل متحصّنًا بمعروفه،

(١) رواه الأطرابلسيّ في من حديث خثيمة بن سليمان، عن عائشة، باب: إسلام أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه.

والرّوح مأخوذة في حضرته، والسرّ مغمورًا في مشاهدته، والعبد يستزيد من محبّته فيزداد، ويُفاتح بما هو أعذب من لذيذ مناجاته، فيُكسى حلل التّقريب على بساط القربة، ويمسّ أبكار الحقائق وثيّبات العلوم، فمن أجل ذلك قالوا: أولياء الله عرائس، ولا يَرَى العرائسَ المجرمون...

واعلم أنّ محبّة العبد لمولاه سببُها شيئان:

أحدهُما: نظر العبد لإحسان الله إليه وضروب امتنانه عليه، وقد جُبِلَت القلوبُ على حبّ من أحسن إليها، وهذا هو المسمّى بحبّ الهوى، وهو مكتسب، لأنّ الإنسان مغمور بإحسانات الله إليه، ومتمكّن من النّظر فيها، فكلّما طالَع منّةً مِنْ مِنَن الله التي لا تقبل الحصر ولا العدّ، كان ذلك كحَبّة زُرعت في أرض قلبه الطيّب الزكيّ، فلا يزال يطالع مِنّةً بعد منّة، وكلُّ منّة أعظم من التي قبلها، لأنّه كلّما طالع المنن تنوّر قلبه وازداد إيمانًا، وكشف من دقائق المنن ما لم يكن يُكشف له قبلُ، وظهر له خفايا المنن، وعظمت محبّته.

الثّاني: كشْف الحُجب، وإزالة الموانع عن ناظر القلب، حتّى يرى جمال الحقّ وكماله، والجمال محبوب بالطّبع، وهذان هما اللّذان قصدت رابعة العدويّة رضي الله عنها:

أُحِبُّكَ حُبَّين: حُبَّ الهَوَى ... وحُبًّا لأنّك أهلٌ لِذَاكَ
فأمّا الذي هو حُبُّ الهَوى ... فَشُغْلي بِذِكْرِك عمّن سِوَاكَ
وأمّا الذي أنتَ أهلٌ لهُ ... فكَشْفُكِ لِلْحُجْبِ حتّى أراكَ
فَلا الحمدُ في ذَا ولا ذَاك لي ... ولكِنْ لكَ الحَمْدُ في ذَا وذاكَ

الإشارة: يا من أقبل على مولاه، وجعل محبّة سيده بُغْيته ومُناه، فلم يُشرك في محبّة حبيبه سواه، لو رأيت من ظلم نفسه باتّباع هواه، وأشرك مع الله في محبّته سواه، باتّباع حظوظ دنياه، وذلك حين يرون ما هم فيه من الانحطاط والبعاد، وما أعدّ الله لأهل المحبّة والوداد من الفوز بالقرب من الحبيب، ومشاهدة جمال القريب، لرأيت أمرًا عظيمًا وخطبًا جسيمًا، ولعلمت أنّ القوّة كلّها لله، قَرّبَ مَنْ شاء بفضله ورحمته، وأبعد من شاء بعدله وحكمته، وذلك حين يتبرّأ الأكابر في الجرم من الأصاغر، ويقع التّفريق بين الأصحاب والعشائر، إلا من اجتمعوا على محبّة الحبيب، وتعاونوا على طاعة القريب المجيب، ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾، لا تصحب من لا يُنْهِضُكَ حاله، ولا يَدُلُّكَ على الله مقاله، فكلّ من صحب أهل الغفلة أو رَكَنَ إلى أهل الدّنيا فلا بدّ أن يرى ذلك حسرات يوم القيامة، يوم لا ينفع النّدم وقد زلّت القدم.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ ارزُقني حُبَّكَ، وحُبَّ مَنْ يَنْفَعُني حُبُّهُ عندَك، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَني مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَ ومَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبّ»[1].

(١) رواه التّرمذيّ في سننه، عن عبد اللّه بن يزيد، حديث رقم: ٣٤٩١، كتاب: أبواب الدعوات، باب: ٧٤، الحديث حسن غريب.